والسدرة كالركبة من الراكب يعني عند ما يحار العقل حيره لاحيرة فوقها
ماحار النبي صلى الله عليه وسلم وما غاب وراى ما راى وهل قوله عند
سدرة المنتهى ظرف مكان او ظرف زمان في هذا الموضع قال ابن الخطيب
المشهور انه ظرف مكان اى راى جبريل او غيره بقرب سدرة المنتهى
وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والتقدير راه
عند الحيرة القصوى اي في الزمان الذي يحار عقل العقلا فهو عليه
الصلوة والسلام ما حار وفيما من شانه اي يحار العاقل فيه فان
قيل هذا التاويل يبطل بقوله يغشى السدرة ما يغشى فالجواب
ان المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة اي ورد على حالة
الحيرة حالة الروية واليقين وان محمدا عند ما يحار العقل راه
ووقت ما طرا من فضل الله ورحمته والصحيح الاول **فصل**
اذا قيل بان محمدا عليه الصلوة والسلام راى الله فمعناه انه راه
عند سدرة المنتهى والظرف قد يكون ظرفا للرائي كما اذا قال
القايل رايت الهلال فيقال اين رايته فيقول على السطح وقد
يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله في مكان
فذلك باطل وان قيل بان المرئ جبريل عليه السلام فظاهر
فصل اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها احدها
اضافة الشي الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع
لا يتعداه ملك قال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن
سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش
على روس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلايق وما خلفها غيب
لا يعلمه الا الله وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من
تحتها وقال كعب ينتهى اليها الانبيا والملايكة وقال الربيع ينتهى
اليها ارواح الشهدا وقال قتادة ينتهى اليها ارواح المومنين وثانيها
اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير
سدرة عندها منتهى العلوم وثالثها اضافة الملك الى مالكه
كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينئذ المنتهى فيه محذوف
تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى
اليه هو الله واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت للتشريف
والتعظيم كما يقال في التسبيح غاية رغبتاه ويا منتهى املاه
فصل وجنة الماوى قيل هي الجنة التي وعد بها كقوله دار
المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها يكون ارواح الشهدا وقيل هي
جنة الملايكة **قوله** اذ يغشى منصوب براه وقوله ما يغشى كقوله
ما اوحى وقال ابن الخطيب العامل في اذ ما قبلها او ما بعدها فيه
وجهان فان قلنا ما قبلها ففيه احتمالان اظهرهما اي راه وقت
ما يغشى السدرة الذي يغشى والثاني ان العامل فيه الفعل الذي في
النزلة اي راه نزلة اخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى
اي نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجايب عند السدرة وغشيها
ما غشي وان قلنا العامل فيها ما بعدها فالعامل فيه ما زاغ البصر
اي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها **فصل**
اختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل فراش وجراد من ذهب وهو قول
ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال القرطبي ورواه ابن مسعود
وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي
النبي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت السدرة يغشاها فراش
من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح وذلك قوله اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان ذلك لا
يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل ملايكة
يغشونها كانهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زايرين
كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها انوار الله لان النبي عليه الصلوة
والسلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما يتجلى للجبل فظهرت الانوار لكن
السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة
وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان
يكون بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي ويكون بمعنى الاتيان
يقال فلان يغشاني كل وقت اي ياتيني **فصل** قال الماوردي
في معاني القران قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها
من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف ظل ظليل وطعم
لذيذ ورايحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية
فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه
وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قطع سدرة صوب الله راسه في النار وسيل ابو داود
عن معنى هذا الحديث فقال هو مختصر يعني قطع سدرة في فلاة يستظل
بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب
الله راسه في النار **قوله** ما زاغ البصر وما طغى اللام في البصر يحتمل
وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
هذا فعدم الزيغ لوجوه ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش
فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده
فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلا وامتحانا لمحمد عليه الصلوة والسلام
وان قيل ان الغاشي انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما معناه لم
يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها والثاني ما زاغ البصر بصعقة
بخلاف موسى عليه الصلوة والسلام فانه قطع النظر وغشي عليه ففي
الاول بيان ادب محمد عليه الصلوة والسلام وفي الثاني بيان قوته
الوجه الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصر اصلا في ذلك
الموضع لعظم هيبته فان قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر فانه
ادل على العموم لان النكرة في موضع النفي تعم فالجواب هو كقوله لا تدركه
الابصار ولم يقل لم تدركه بصر **قوله** وما طغى فيه وجهان الاول
انه عطف جملة مستقلة على جملة اخرى والثاني انه عطف جملة مقدرة
على جملة فمثال المستقل خرج زيد خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة
خرج زيد ودخل والوجهان جايزان هنا اما الاول فكانه تعالى عند
ظهور النور ما زاغ بصر محمد عليه الصلوة والسلام وما طغى محمد بسبب
الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر فان قيل بان
الغاشي للسدرة جراد فالمعنى لم يلتفت اليه وما طغى اي ما التفت الى غير
الله ولم يلتفت الى الجراد بل الى الله وان قيل غشيها نور فقوله ما زاغ اي
ما مال عن الانوار وما طغى اي ما طلب شيا وراه وفيه لطيفة وهي ان يكون
ذلك بيانا لوصول نفس محمد عليه الصلوة والسلام ما زاغ اي ما مال عن الطريق
فلم ير الشي على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم
ينظر الى شي ابيض فانه يراه اصفر او اخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار

King Saud University
Copyright King Saud University